صـــــورة مصـــــر فى عصـــر محمـــد عـــلى
فى مقررات التاريخ المدرسى المصرى

د. زكـــــى البحيـــرى

مدخـــل :

لا توجد أمة من الأمم على سطح كوكبنا تستطيع الاســتغناء عــن رموزهــا التاريخية المضيئة لكى تنير لها سبيل الحاضر وتستشرق بها آفاق المستقبل وتشد بها أزر أبنائها على طريق التقدم ، لذلك فليس مـــن الغريـــب أن نجـــد أن المقـــررات التاريخية المدرسية تولى عنايتها فى أى مجتمع للوقوف على مجـــهودات الأجيـــال السابقة ، وفى مصر نحن نحاول إبراز الدور الحضارى لبلادنا ، وتنمية الاعـــتزاز بتراثنا المصرى وكذا بالتراث العربى والقيم الروحية والثقافية للإنســـان العربـــى ، وترسيخ الإيمان بحركة الوحدة العربية ، وتبصير التلاميـــذ بخطـــورة الإمبرياليـــة والصهيونية ، وضرورة معاداتهما ، وتعميق التوجهات الديمقراطية ، والمجـــهودات التنموية ، والعدالة الاجتماعية . (١)

إن العلة التى تزيدنا اهتماماً بتاريخنا هى أن كل أمة تحاول إبـــراز دورهـــا التاريخى وتعظمه ، بل إن الصهاينة يفتعلون لأنفسهم تاريخاً يدعمون بـــه وجودهـــم على الأرض العربية المحتلة (٢). وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا مبرر لأن ننسى معـــالم تاريخنا – كما حدث فى المعالجات المشوهة فى كتابة تاريخنا المدرســـى ، وخـــلال فترة تحويل التاريخ إلى مادة غير أساسية فى الثانوية العامة ، وقد حدث تراجع عـــن هذه الخطوة أخيراً ابتداء من السنة الدراسية ١٩٩٩/٩٨م – ورموز ماضينا ، ونتذكر أعياد الميلاد ، وأحداث ومناسبات متعددة افتعلناها لأشخاص ليسوا هم تراث مجدنـــا ولا نبراس لأجيالنا .

إنه لابد من العودة إلى تاريخنا اليوم بإلحاح خاصة فى حضور مـــا يســـمى

بالعولمة التى لا تعنى فى النهاية سوى سيطرة الرأسمالية الغربية والقوى العظمى على مقدرات عالمنا ، العولمة التى تعنى فى الحقيقة تمييع بل إزالة الهوية القومية لدول العالم الأخرى وفى مقدمتها مصر والدول العربية ، وحصر هذه الهوية فى الفلسفة الرأسمالية الغربية المتحكمة ، والأمر الجدير بالالتفات أن سمة إعلامنا المصرى والعربى نشر صور وإذاعة أقوال وموضوعات قد لا تدل أو تعكس واقع تاريخنا وحياتنا ، فالفارق كبير بين ما يبث فى أعلامنا المذاع والمرئى وحقيقة تاريخنا ، وظروف وأحوال مجتمعنا فى كل مكان .

والواقع أن ما يحتم علينا عرض تاريخنا الحقيقى وما فيه من مواقف مشرفة على المهتمين عامة وفى المدارس خاصة أن فى هذا التاريخ أياماً بعينها يحيط بها الغموض من ناحية الدقة التاريخية على الرغم من أن هذه الأيام هى من المعالم المميزة التى غيرت وجه تاريخنا كله .

كذلك فإن ما يدفع الإنسان إلى التفتيش فيما خلفته مقررات التاريخ المدرسى لدى أجيالنا من المعرفة أو الوعى تلك الحيرة التى تستولى على مثقفينا ومتعلمينا وتلاميذ مدارسنا عند حكمهم على حدث أو موقف تاريخى معين ، فوضوح الرؤية غير متوفر ، واختلاف الرأى سمة غالبة ، بل أن آراء الكبار تتضارب مع آراء الصغار ، ويميل كل فريق إلى حشد البراهين لتأكيد مصداقية ما تلقاه من معلومات تاريخية .

وجدير بالملاحظة أن محمد على والى مصر و بانى نهضتها الحديثة قد زادت حوله الأقاويل المبرزة لبطولته إلى الحد الذى جعلها ركاماً ضخماً حجبت الحقيقة ، ومنع من الوصول إلى تقييم موضوعى لعصر هذا الحاكم العظيم ، واستخلاص الخبرات لتجنب الأخطاء التى وقعت فى عصره ، ولقد انعكس ذلك بالطبع على مقررات التاريخ بمدارسنا قبل الثورة ، ثم إن هذه المقررات جاءت فى فترة بعد

الثورة مجحفة أحياناً بدور محمد على رأس الأسرة العلوية التى تعاونت مع المستعمر وقبلت العيش معه على حساب الشعب المصرى ، وعليه فإن من الواجب أن يكون هناك حد أدنى من التاريخ الحقيقى الذى لا تبدله حالة السياسة وأوضاع الحكام خاصة أن من أكثر آفات حكامنا خطورة رغبتهم الواضحة فى طمس تاريخ من سبقوهم.

ولسوف نحاول هنا تتبع كيفية معالجة تاريخ مصر فى عهد محمد على فى المقررات المدرسية المصرية منذ بداية هذا القرن وحتى نهايته تقريباً ، وذلك من خلال تحليل لمحتوى الكتب المدرسية ذاتها فى مواجهة الحقيقة التاريخية التى تعكسها الدراسات الموضوعية .

القوى الشعبية وتولية محمد على :

لقد استمر العثمانيون يحكمون مصر كولاية عثمانية منذ ١٥١٧م حتى مجئ الحملة الفرنسية إلى مصر والمشرق العربى ، حيث احتلت تلك الحملة مصر وتوجهت إلى الشام على أمل بناء إمبراطورية فرنسية فى الشرق ، غير أن تحطيم الأسطول الفرنسى فى أبى قير ، وفشله فى الاستيلاء على عكا ، وقوة المقاومة الشعبية المصرية قد حطمت آمال نابليون وفرنسا فعاد نابليون من حيث أتى تاركاً الحملة ومصيرها فى يد القدر.

إلا أن تاريخ هذه الحملة جاء مشوها فى مقررات التاريخ المدرسى فعن أسباب هذه الحملة ورد فى كتاب المرحلة الابتدائية عام ١٩١١ " أن ولاة مصر فى الفترة الأخيرة خاصة مراد بك وإبراهيم بك قد بالغوا فى نهب التجار الأوربيين ، وكثرت شكوى الأهالى ، وقناصل الدول إلى السلطان سليم الثالث . . . ولكنه لم يصغ لهم ولا للقناصل أيضاً . . . فأرسلت حكومة فرنسا جيشاً تحت قيادة الجنرال نابليون بونابرت إلى مصر . . . " [٣]. ويبدو وكأن سبب قيام الحملة الفرنسية هو

نهب زعماء المماليك للتجار الأجانب ، وكأن المحرك الأساسى للحملة الفرنسية أساسه محلياً نظراً لسوء الأحوال وخطأ السياسات القائمة فى مصر وقتها ، علماً بأن المحرك الفعلى كان فى حقيقته خارجياً مصدره أوربا ورغبة فرنسا بعد قيام ثورتها وزيادة قوتها فى الانتقام من غريمتها إنجلترا وذلك باحتلال مصر مفتاح الطريق إلى الهند أكبر مستعمرات إنجلترا فى هذا الوقت ، ذلك لأن إنجلترا كانت قد أحرزت انتصاراً كبيراً على فرنسا فى حرب السنوات السبع ١٧٥٦-١٧٦٣ فى الهند وفى أمريكا الشمالية حيث تنازلت فرنسا عن مستعمراتها فيهما لإنجلترا . (٤)

ان هذه الحقائق التى أغفلتها كتب التاريخ المدرسى فى عهد الاحتلال رصدتها مقررات التاريخ بعد سنة ١٩٥٢ ، مثل مقرر " تاريخ الوطن العربى فى العصر الحديث " للصف الثالث الإعدادى عام ١٩٥٩ ، لمؤلفه أحمد عزت عبدالكريم (٥)، وكتاب " تاريخ العرب الحديث " لنفس المستوى الدراسى عام ١٩٦٣ لمؤلفه أحمد عبدالرحيم مصطفى وغيرهما.

وبصفة عامة لقد أغفلت المقررات المدرسية للتاريخ الإجابة عن سؤال هام هو لماذا تجمع الشعب المصرى كله لمحاربة الفرنسيين ومقاومتهم تحت قيادة الطبقة البرجوازية الناشئة أو الزعامة الشعبية بينما لم يفعل ذلك فى مواجهة ظلم المماليك والعثمانيين على حد سواء ؟ ولماذا بدا وكأن وعياً قومياً قد ولد فى نهاية القرن ١٨ مع العلم بأن الظلم الذى كان يلاقيه المصريون من المماليك والعثمانيين كان بإمكانه إزالة الصمت ، وتخليق وعى ثورى قبل ذلك بوقت بعيد ؟ .

لقد كان الدور الوطنى للطبقة الوسطى (البرجوازية) آخذاً فى التبلور ملتفاً حول الزعامة الشعبية للطبقة الوسطى قبل وخلال الحملة الفرنسية وفى ثورتى القاهرة الأولى والثانية ، وعقب خروج تلك الحملة من مصر وقتما اشتد الصراع على السلطة بين المماليك والعثمانيين ، وفى هذا الخصوص يذكر أحد المقررات

المدرسية " أنه بعد فشل خسرو باشا فى تولية الحكم ... ولى مكانه السلطان العثمانى أحمد خورشيد باشا ... ورأى هذا اتساع نفوذ محمد على وشدة تعلق الأمة والألبانيين به ، فاستقدم جيشاً من المغاربة ليكونوا عوناً عليه ، وأطلق لهم العنان ينهبون ويقتلون ، فكرههم الناس وكرهوا خورشيد من أجلهم وزادوا تعلقاً بمحمد على حتى خشى السلطان مطامعه فأصدر أمراً بتوليته على جده ليبعده عن مصر ، فأدى هذا الأمر إلى أن هاج الجيش ، فهب دفعة واحدة يطلب محمد على والياً على مصر ، وحاصر خورشيد فى القلعة ، فاضطر السلطان إلى عزله وتولية محمد على فى يوليو ١٨٠٥"[٦] ، وهنا لا يبدو دور الشعب المصرى وزعامته فى تولية محمد على ، وهنا لا يبدو أن للشعب المصرى وزعامته دوراً فى تولية محمد على ، ففضل التولية يرجع كما هو باد إلى محمد على ذاته، إلا أن الحقيقة تخالف هذا تماماً، فالشعب المصرى هو صاحب الدور الأساسى فى توليته، فقد انقسمت البلاد بعد خروج الفرنسيين إلى مناطق يحتلها الأتراك وأخرى يحتلها المماليك، وثالثة كان يحتلها الإنجليز ، وتطلع المماليك إلى القبض على زمام الأمور فى البلاد كما كانت من قبل ، وفى نفس الوقت كان الباب العالى يطمح إلى طرد المماليك من الديار المصرية . [٧]

وكان من المتواتر أن المصريين لا وزن لهم فى موازين القوى السياسية فى مصر ، ولم يكن ذلك حقيقياً ، والواقع أن ظروف الحملة الفرنسية ومقاومتها أظهرت القوى الشعبية المصرية وزعامتها وقدرتها على الاستمساك بحقوقها بعد خروج الحملة ضد ما أصاب البلاد من الظلم والإرهاق على أيدى المماليك والأتراك، فعزموا على التخلص من هذين الفريقين وأساليبهما البالية ، فتصدت الزعامة الشعبية بقيادة عمر مكرم نقيب الأشراف لكل جور وبطش من جانب الباشوات الأتراك والأمراء المماليك.[٨] فلقد " ثارت جموع الشعب المصرى فى القاهرة والأقاليم ، وامتد القتال إلى الصعيد ، وقد دفع هذا المدنيين فى القاهرة إلى قفل محالهم واللجوء

إلى مشايخهم الذين اجتمعوا بالقاضى حيث اشترطوا لإنهاء الثورة عدة شروط أرسلوا بها إلى الوالى فطلبهم ولكنهم رفضوا الذهاب إليه وأعلنوا الإضراب العام " وكان لدى قادة الإضراب أو الثورة رغبة فى القضاء على الفوضى دون طموح واع إلى الحكم المباشر ، "وكانوا فى حاجة إلى ساعد قوى يعضدهم حيث ظهر هذا الساعد فى شخص محمد على الذى ما أن انفجر بركان القاهرة ضد خورشيد حتى كان هو الرجل الوحيد الذى يستطيع الثائرون الاطمئنان إليه فرفضوا والى السلطان وبايعوه والياً عليهم وكتبوا إلى الأستانة " . (٩)

وكان السلطان العثمانى قد استجاب لرغبة الشعب المصرى لتولية محمد على لتفادى ثورته مؤقتاً ، ولذلك لم يمض على اعتراف السلطان به والياً على مصر علم واحد حتى أصدر فرماناً بنقله إلى ولاية سالونيك فى بلاد اليونان ، ولكن هذه المحاولة فشلت أيضاً بسبب إصرار الشعب المصرى على التمسك بمحمد على والياً على مصر ، حسب ما جاء فى المقرر المدرسى للمستوى الإعدادى ١٩٧٧. (١٠)

وعاد الفضل إلى أصحابه حيث أشير صراحة وبالتفصيل إلى دور الشعب والطبقى الوسطى القائدة والأكثر وعياً من المتعلمين ومن رجال الدين والتجار بزعامة السيد عمر مكرم، والشيخ الشرقاوى فى مقررات التاريخ المدرسى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

عصر محمد على بداية لتاريخ مصر الحديث :

ذكرت بعض المقررات المدرسية أن الحملة الفرنسية هى التى أيقظت الشعب المصرى وحركت لديه المشاعر الوطنية ، وأوجدت فى مصر نهضة حديثة ، وفى ذلك قدر كبير من المبالغة ، صحيح أن الحملة الفرنسية أوجدت طرقاً للحكم وأساليباً للإدارة والعمل لم تكن موجودة ، إلا أن الواقع يقول أن مصر كانت فى سبيلها إلى إحداث تغييرات اقتصادية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، والحقيقة

المؤكدة أن مصر فى عصر محمد على قد شـــاهدت تغيـــرات جذريـــة اقتصاديـــة واجتماعية وسياسية بشكل يجعلنا نقرر باطمئنان أن تاريخ مصر الحديث بـــدأ مـــع عصر محمد على ، ومن ثم تسقط وجهات النظر التى تقول بأن الحملة الفرنسية هـــى الحدث الذى يؤرخ بداية تاريخ مصر الحديث ، وبالطبع فإنه من المرفـــوض تمامـــاً اعتبار دخول العثمانيين إلى مصر بداية لتاريخها وتاريخ العرب الحديث . [١١] ولقـــد أكدت وبرهنت كثير من الدراسات التاريخية المعاصرة على أن بداية تاريخ مصـــــر والعرب الحديث يبدأ مع عصر محمد على . [١٢]

التطـــورات الاقتصاديـــة فـــى عصـــــر محمـــــد علـــــى فـــــى المقـــــررات المدرســـية :

يورد كتاب ، تاريخ مصر السياسى لمؤلفه محمد رفعت للمستوى الثانوى عام ١٩٣٤، أن محمد على وضع على كاهله منذ تولى حكم مصر ضرورة إيجاد نظـــام اقتصادى اجتماعى جديد ومنفرد، يمكنه من توفير مصادر للدخل والتمويل لتكويـــن جيش وأسطول متقدمين، يؤهلانه للقيام بدور عسكرى وسياسى يمكنـــه مـــن بنـــاء إمبراطورية واسعة له ولأبنائه فى الشرق مركزها مصر ، وقد عظمـــت المقـــررات المدرسية قبل الثورة من الدور الذى كان لمحمد على فلم تعتبره المنشـــئ الحقيقـــى لنهضة مصر الحديثة فقط بل وذكرت نصاً " أننا لا نبالغ إذا قلنا (أنه منشئ) نهضة الشرق الأدنى جميعه فهو أول أمير شرقى أشربت روحه مبادئ التقدم والرقى علـــى أصول المدنية الحديثة".[١٣]

ويؤكد محمد رفعت على أن كل الأعمال المدهشة والإصلاحات الهائلة التـــى قام بها محمد على لتتضاءل أمام مشروع الاستقلال الاقتصـــادى ، فقـــد رأى هـــذا الوالى الذكى أن مصر غنية بمحصولاتها الزراعية ولذا يجب أن تنتج معاملها كل ما يحتاج إليه جيشه وأسطوله العظيمين وما تحتاج إليه أسواقه وأملاكه من المصنوعات،

بدل أن تظل مصر دائماً محتاجة إلى مصنوعات أوربا . [١٤]

وإذا كان هدف محمد على إقامة بناء اقتصادى سياسى وتكوين جيش وضم بلدان وتشكيل إمبراطورية له ولأولاده من بعده إلا أنه فى نظر المحللين قد سربل طموحه الخاص بالنزعة الإسلامية والتظاهر بالرغبة فى تخليص الأمة العربية والإسلامية من العثمانيين أنفسهم الذى اعتبرهم محمد على خارجين على الدين والشريعة الإسلامية [١٥]، ويرى أنور عبدالملك أن محمد على أراد تأكيد خصوصية مصر عن طريق التقليل من النفوذ العثمانى عليها من جانب والأخذ بأساليب الدولة العصرية من جانب آخر ، وفرض نفوذ مصر خارج نطاقها من جانب ثالث . [١٦]

ولكى يُحدث محمد على نقلة حضارية ويوجد نظاماً اقتصادياً أكثر حداثة وضماناً لتحقيق أمنياته بدل أنماط وطرق الإنتاج للأوضاع الاقتصادية، الزراعية والصناعية والتجارية وغيرها .

أ- الزراعة فى عصر محمد على :

كانت الزراعة أول عمل وجه محمد على إليه عنايته الخاصة ، إذ رأى أنها المصدر الأساسى لثروة البلاد ، وعليها يتوقف أهم دخلها السنوى ، فجعل زراعة جميع المحاصيل تحت إشرافه حتى لا يهرب أحد من دفع الضرائب التى عليه ، وتشدد فى المحافظة على سيادة الأمن العام ، وقبض بيد من حديد على عصابات اللصوص التى كانت منتشرة فى جميع أنحاء البلاد ، وأمر مديرى المديريات بعمل مسح للأطيان وقياس مساحة أراضى كل قرية ، ما عدا الضياع التى كان يتم منحها للمقربين وذوى الحظوة ، وكان كل عمدة فى قريته يقوم بتوزيع الأراضى على الفلاحين ، ثم يجمع منهم الضرائب المقررة بمساعدة موظفى الحكومة ، وبذلك سيطر محمد على على جميع أراضى البلاد التى كانت تسمى أرض الأثر (الخراج)، ثم استولى على معظم أراضى الأوقاف التى كانت تحت رعاية العلماء الذين احتجوا

عليه وتجمهروا، " فأقنعهم بالدليل القاطع ، أنه الوالى من قبل الخليفة الذى يتولى أمور المسلمين جميعاً ، فهو أحق فرد فى مصر برعاية الوقف " . (١٧)

وتدخل محمد على فى كل شئ ، فقد كان يعين المحصولات التى تزرع فى كل بقعة من بقاع مصر ، وكانت تجمع المحصولات جميعها آخر العام بعد الحصاد وتوضع فى مخازن الحكومة و يقدر ثمنها عدد من رجال الحكومة " ، فكان جزء منها يؤخذ مقابل ضرائب الأرض ، وما يتبقى تشتريه الحكومة بأسعار هى التى تحددها ، وتقوم بتصنيع بعض المحاصيل الصناعية كالقطن ، والجزء الأكبر يباع إلى التجار الأوربيين وبذلك احتكر محمد على الزراعة ، بل وجميع الموارد الاقتصادية الأخرى ، وأدخل زراعة القطن ، والقنب ، والنيلة التى كانت تستخدم فى صباغة الملابس ، كما اهتم بزراعة الحدائق والغابات . (١٨)

والحقيقة أن محمد على قد أحدث انقلاباً هاماً فى نظام ملكية الأرض فنقل إليه والى حكومته حقوق " الملتزمين " وقام بتوزيع الأراضى على الفلاحين ، وفرض الضرائب العالية عليهم مما كانت تنوء بها ظهورهم وإمكاناتهم مما دفع الكثيرين إلى الهرب من القرى لعدم قدرتهم على دفع ما عليهم من الضرائب . (١٩)

ومن المؤكد أن عملية تكوين إمبراطورية لمحمد على مركزها مصر لم تكن عملاً عفوياً ، وإنما كانت عملية استلزمت من الوالى الفطن تسخير كل الطاقات الطبيعية والبشرية المتاحة فى وادى النيل ومصر بالذات ، ومن ثم فرض نظام الاحتكار أو ما يسميه البعض بنظام رأسمالية الدولة الذى يعنى تركيز معظم الدخل الإنتاجى القومى فى يد الحاكم والحكومة، ولقد استعان محمد على فى تحقيق مشروعاته بفريق من الأجانب وبالأخص الفرنسيين(٢٠). وبذلك أمكن لوالى مصر إجراء تغييرات جذرية ، واسعة النطاق فى منطقة الشرق الأوسط (٢١). ولقد كان محمد على طموحاً تواقاً إلى التوسع ، وهذا استلزم وجود جيش وأسطول كبيرين مما

حتم عليه ضرورة تركيز طاقة البلاد وإيراداتها فى يديه ومن ثم اتبع أسلوب الاحتكار الذى جعل الدولة أكبر مالك لرأس المال والإنتاج.

ب- الصناعة :

يذكر مقرر عام ١٩١٦ أن محمد على رأى إدخال الصناعة فى مصر، ولا يخفى ما فى ذلك من المصاعب ، لضرورة جلب الفحم والحديد والأخشاب والآلات من الخارج ، واستيراد الخبرة ، ومع ذلك فقد أنشأ معامل الغزل والنسيج والحرير والصوف والكتان فى المنصورة ودمياط ، ورشيد والمحلة الكبرى ، وزفتى ، ومنية غمر (ميت غمر) ، وبنى سويف ، كما أنشأ المعامل فى بولاق ومنها مبيضة المنسوجات ، والمصابغ ، ومصانع الطرابيش والسكر ، ومعامل ومسابك الجيش والمعدات والذخيرة [٢٢]. وتذكر باحثة فى مجال الصناعة أن محمد على كان يقوم بشراء الخامات اللازمة للصناعة بأسعار رخيصة ويبيعها للصناع والحرفيين كى يتم تصنيعها طبقاً للمواصفات المطلوبة ، ثم تقوم الحكومة بشراء المواد المصنعة بأسعار محدودة ، حيث تتولى بعدها بيعها للجمهور بأسعار عالية أو تتولى تصديرها للخارج ، والواقع أن النظام الاحتكارى فى الصناعة قد أوجد نهضة صناعية لكنها كانت مفتقدة إلى السوق بسبب المنافسة الخارجية [٢٣].

ويورد كتاب التاريخ للثانوية العامة ١٩٣٤ سبب افتقاد الصناعة فى عهد محمد على للسوق يقول " كان ثمن السلعة المنتجة فى مصانع محمد على أغلى من ثمن مثيلتها التى ترد من الخارج مع جودة أعلى للبضائع الأجنبية ، وكان محمد على على علم تمام العلم بالعجز فى إيرادات مصانعه ، ولكنه استمر للنهاية يستخدمها رغبة منه فى تعويد المصريين على الصناعة ، والاستقلال عن أوربا وتشبهاً بنظام فرنسا وإنجلترا فى ذلك الوقت وهو نظام اتباع حماية التجارة والصناعة المحلية " [٢٤].

ويؤكد أحمد عزت عبدالكريم وآخرون فى كتاب الثانوية العامة الذى كان مقرراً فترة الستينات والسبعينات أن مصر شهدت بالفعل نهضة صناعية كبرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر [٢٥]. إلا أن هذا المشروع النهضوى الصناعى لمحمد على قد فشل ، وتسند بعض المقررات المدرسية هذا الفشل إلى محمد على نفسه – وهذا تعليل فيه قدر كبير من التجنى على الحقيقة ، لأن فشل مشروعات محمد على ترجع لعوامل أخرى سوف نشير إليها – تقول : " لا يدهش المؤرخ خطؤه (يقصد محمد على) أحياناً فى بعض الإصلاحات والمشروعات الصناعية ، ولا يؤخذ عليه ذلك ، بل يغتفر له غلطاته بملء صدره بشفاعة أعماله النافعة "[٢٦].

ولقد أوردت باحثة متخصصة فى تاريخ الصناعة فى عهد محمد على أسباب انهيار المشروع الصناعى لمحمد على ، وحددت هذه الأسباب فى عوامل داخلية منها (١) سوء الإدارة والفساد الحكومى ، فلما كانت الحكومة تتبع نظام الاحتكار كإطار لعمليات التصنيع فقد كان عليها أن تقوم وحدها بعملية التصنيع ، وكان على عاتقها إنشاء المصانع وتدريب العمال ، والبحث عن المواد الخام حيث كانت الصناعة بدائية ورؤوس الأموال الوطنية ضئيلة ورؤوس الأموال الأجنبية غير مرغوب فيها... ولذا تحملت الحكومة من النفقات ما لا قبل لها به وبطبيعة الحال لا يمكن أن يستمر الأمر على ذلك . ٢) عدم وجود العمال المهرة ولذلك استعان محمد على بالخبراء الأجانب . ٣) كذلك فإن تكلفة الإنتاج كانت عالية مما رفع أسعار المنتجات وقلل من قدرتها على منافسة البضائع الأجنبية . ٤) عدم توفر الحماية الجمركية بالمعنى الصحيح، فقد أوعزت الدول الأوربية خاصة بريطانيا إلى السلطان العثمانى بإصدار فرمان سنة ١٨٢٠ ، ينص على أن يترك الباب مفتوحاً للبضائع الأوربية الداخلة إلى الولايات العثمانية ، على أن يدفع عن هذه البضائع ضريبة قدرها ٣% من قيمتها ، مع التأكيد على ضرورة تنفيذ هذا الفرمان الذى كان مقصوداً به مصر.

وعللت نفس الباحثة فشل المشروع الصناعى لمحمد على بعوامل خارجية

خلاصتها مقاومة الدول الأوربية لحركة التصنيع الوليدة فى مصر ، تلك المقاومة التى نستشعر صداها فى الحملة العنيفة التى وجهتها تلك الدول نحو الصناعة المصرية على ما تشهد به تقارير القناصل الأجانب وإجماعهم على فشل الصناعة وهى مازالت فى بدايتها مع تكرار القول دائماً بأن مصر بلد زراعى فقط فلقد تحالفت الدول الأوربية على إسقاط نظام محمد على الذى يهدد مصالحها وتجارتها فى الشرق ، ومن ثم كانت تلك المعاهدات التجارية التى عقدتها مع سلطان تركيا مثل معاهدة "بلطة ليمان " سنة ١٨٣٨. (٢٧)

جـ- التجـــارة :

لقد احتكرت الدولة التجارة الداخلية والخارجية فكانت تستولى على المحاصيل الزراعية من الفلاحين وتقوم بتصديرها إلى الخارج جملة واحدة مع بعض منتجات المصانع ، كذلك كانت الدولة هى التى تستورد ما تحتاج إليه البلاد من مواد خام أو مُصنعة أو آلات ثم تعيد بيعها بالسعر الذى تراه بما يحقق لمحمد على وحكومته الربح الوفير (٢٨)، ومن أجل تنشيط حركة التجارة أنشأت حكومة محمد على ترسانة لبناء السفن ، وجلبت الأخشاب والأدوات اللازمة ، وقامت بإصلاح ميناء الإسكندرية حتى يكون مناسباً لاستقبال العديد من السفن الكبرى ، ويمكنه جذب التجار الأجانب للاتجار مع مصر ، وشراء بعض محاصيلها الزراعية ومنتجاتها الصناعية . (٢٩)

محمد على وبنـــاء الدولـــة الحديثـــة

فى المقـــررات المدرســـية :

كان على محمد على لكى يقيم دولة حديثة فى مصر خلافاً للنهوض بأحوال البلاد الاقتصادية وتوجيهها بالقدر الذى يكفل له السيطرة عليها الاهتمام بـ :

أولاً : إيجاد حكومة مركزية ، وتنظيم الإدارة الحكومية .

ثانياً : الاهتمام بإدخال العلوم الحديثة ، وتطوير نظام التعليم .

ثالثاً : تكوين قوة حربية قوية . (٣٠)

وتفاصيل ذلك أن محمد على – وكما جاء فى مقرر الثانوى ١٩١٦– أنشأ " ديواناً خديوياً " جعل مقره القلعة ، برئاسة الوالى وينوب عنه فى غيابه " الكتخدا " ، وكان عمله الفصل فى الأمور التى ليست خاصة بالقاضى الشرعى . وأنشأ مجلسين: أحدهما كان يسمى " مجلس المشاورة الملكى " وينتخب محمد على أعضائه بنفسه ، ومهمته النظر فى شئون البلاد عامة ، ومناقشة القوانين قبل إصدارها ، ومع أن هذا المجلس كان رأيه استشارياً فقد خفف به محمد على عبء المسئولية الملقاة على عاتقه ، أما المجلس الآخر: فكان بمثابة مجلس الوزراء الآن، ثم أنشأ محمد على عدة دواوين أهمها " مجلس المشاورة العسكرية " و " ديوان دار الصناعة (الترسخانة) أو البحرية " و " ديوان التجارة " ويرأسه نقيب (شاهبندر) التجار بالقاهرة . ثم قام محمد على بتقسيم البلاد إلى سبع مديريات وقسمت كل مديرية إلى عدة مراكز كان عددها ٦٤ مركزاً ، كما تم تقسيم كل مركز إلى أخطاط أى نواحى يدير شئون الناحية موظف يلقب بالناظر . وإلى قرى يتولى أمورها العمد والمشايخ (٣١). وبذلك أصبحت إدارة البلاد تحت يد محمد على ، كما أصبحت تقسيماتها الإدارية محددة ومسيطر عليها من جانب الحكومة إدارياً .

وعن اهتمام الوالى بالتعليم ، يذكر المقرر المدرسى لسنة ١٩٣٤ للمستوى الثانوى أن التعليم ارتبط بالجيش ، ورأى أن الاعتماد على الأجانب لا يمكن أن يؤدى إلى قوة حقيقية ، فاستعان بهم ريثما يتعلم الوطنيون العمل ويتلقون المعرفة ، ثم استغنى الوالى عن الأجانب تدريجياً ، فقد أرسل البعثات إلى أوربا لتلقى العلم ، حيث كانت أولى البعثات سنة ١٨٢٦ وكان عدد أعضائها ٤٤ عضواً ثم زاد هذا العدد إلى ١١٤ عضواً سنة ١٨٣٣ ، ولما عادت تلك البعثات ساعدت فى تأسيس

المشروعات العظيمة . (٣٢)

وبالفعل أوجد اهتمام محمد على بالتعليم حركة علمية جديدة فنهضت اللغة العربية بعد أن كادت تقتلها اللهجة العامية فتم تعريب الكتب فى مختلف العلوم ، وأصبح الأساتذة المصريون يلقون محاضراتهم باللغة العربية ، وأخرجت المطبعة الأميرية ببولاق عدداً عظيماً من المؤلفات العربية ، وأصدر الباشا صحيفة " الوقائع الرسمية " باللغتين العربية والفرنسية ابتداء من ١٨٢٨ ، وكان من أنجح المدارس تلك الخاصة بأسلحة الجيش ، ومدرسة الهندسة بالقلعة ، ومدرسة الطب والمستشفى الخاصة بها ، وقد أنشئت أول الأمر بأبى زعبل ، ثم انتقلت بعد ذلك سنة ١٨٢٧ إلى قصر العينى ، وبذل " كلوت بك " جهداً عظيماً فى الاهتمام بحالة البلاد الصحية، وإدخال الإصلاحات ، ومن المدارس التى تأسست فى عهد محمد على أيضاً ، مدرسة المهندسخانة فى بولاق ١٨٣٤ ، ومدرسة الألسن بالأزبكية عام ١٨٣٦ ، ومدرسة الصنائع ١٨٣٩ ، والمدرسة التجهيزية بأبى زعبل ١٨٣٦ ، ومدرسة المبتديان بالسيدة زينب ١٨٣٩ ، هذا بخلاف مدارس الجيش وهى : المشاة، والفرسان ، والطبجية التى تأسست حوالى ١٨٣١ . (٣٣)

ولقد اهتم محمد على بإنشاء المدارس بمستوياتها المختلفة الابتدائية والثانوية والعالية ، واستحضر لها كبار الأساتذة الغربيين لتعليم المصريين ، حتى أصبحت هناك كوادر مصرية بعد عودتها من البعثات الخارجية فتولى عدد كبير منها تدريس العلوم المختلفة وبرع فيها ، "وكان يُساق التلاميذ إلى تلقى العلوم بالمدارس رغم معارضة آبائهم وعويلهم كأنما يساقون إلى الموت" (٣٤)، وعلى كل حال فإن عدداً كبيراً من أبناء الشعب المصرى قد انتظموا فى الدراسة وبرعوا فى مجالات المعرفة وذاع صيتهم ومن هؤلاء رفاعة الطهطاوى المفكر ، وعلى البقلى الطبيب ، ومحمد بيومى العالم الرياضى ، وعلى مبارك المهندس ، " على أن هدف الحكومة كانت تهتم بالتعليم انطلاقاً من اهتمامها بالجيش وإدارة الدولة (٣٥)، ولذلك عندما قل اهتمام

دولة محمد على بالجيش – نتيجة فشل مشروع التوسع الخارجى تجاه الشام والشرق، وتحالف الدول الأوربية والسلطان العثمانى ضد محمد على – قل بل إنهار المشووع التعليمى الواسع فى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وعن تكوين محمد على للجيش وإنشائه لأسطول يمكنه من تحقيق مشوعاته التوسعية يذكر أحد المقررات التاريخية قبل الثورة ، أن أول ما فكر الوالى جدياً فى ذلك كان فى يونيه ١٨١٥ ، إذ قضى مدة فى إقناع قواد جنوده بأفضلية الطرق الأوربية الحديثة ، ولما عاد إبراهيم من حرب الوهابيين منتصراً فكر الوالى فى إنشاء النظام العسكرى الجديد ، وصادف عزمه هذا حضور الكولونيل سيف المعروف بـ " سليمان باشا الفرنساوى " إلى القاهرة فعهد إليه محمد على مهمة تكوين الجيش الجديد . فبدأ " سيف " تدريب بعض أولاد المماليك الذين كانوا فى خدمة محمد على ومعهم إبراهيم ليكون مثلاً حسناً للطاعة والاستفادة ، بدأت تظهر علامات التذمر وأخذ العلماء يغرون الشبان بعدم الانصياع لتعاليم الفرنجة ، ولما وجد محمد على الضباط الأكفاء فكر فى جمع الجنود من غير الأتراك والألبان الذين كانوا يميلون للتمرد ، فعمد إلى السودانيين لاستخدامهم فى الجيش لكن تجربة تدريبهم لم تنجح لأنهم لم يألفوا المعيشة الشاقة بعيدين عن أوطانهم ، ولم يتحملوا البرودة فمرض ومات منهم عدد كبير فى سنين قلائل ، وأخيراً بدأت فكرة تكوين الجيش من المصريين الذين كان محمد على يدخرهم من قبل لأعمال الزراعة ، وجنت دولة محمد على من وراء تكوين الجيش فوائد عسكرية وأدبية كبيرة [٣٦]، وقام الجيش المصرى بحروب وتوسعات ضخمة أثبت فيها قدرته النظامية والعسكرية.

ولم يقل اهتمام محمد على بالأسطول عن اهتمامه بالجيش فقد كان ضرورياً لحماية السواحل المصرية ، وكانت نواته تلك السفن التى صنعت فى داخل دار الصناعة ببولاق لنقل الجيش المصرى إلى شبه الجزيرة العربية ودأب محمد على على شراء السفن الحربية من الموانى الأوربية حتى أصبح لمصر أسطول كبير ،

ولكن الدول الأوربية تآمرت عليه وحطمته فى موقعة نفارين١٨٢٧ فى مياه اليونان.

وعزم محمد على على إنشاء أسطول مصرى جديد ، بأيدى مصرية فشيد تحت إشراف أحد الضباط البحريين الفرنسيين وهو " سيريزى " داراً كبرى لصناعة السفن بالإسكندرية تلك الدار التى صارت من أعظم دور صناعة السفن كما أصبحت الإسكندرية من أعظم موانى البحر المتوسط ، وأصبح الأسطول المصرى من أعظم القوى البحرية فى هذا البحر [٣٧]، ولقد ارتبط الأسطول الحربى المصرى بالأسطول البحرى التجارى ، ولذلك تطورت صناعة السفن الحربية تلك التى كان لها دور كبير فى مشروعات مصر الحربية والتوسعية فى السودان والشام وبلاد المورة ، وشبه جزيرة العرب ، وضعف الأسطول التجارى والحربى المصرى على أثر فشل وتراجع المشروع النهضوى والتوسعى المصرى ككل .

حروب محمد على التوسعية :

١- حروب الجزيرة العربية :

ظهر محمد بن عبدالوهاب فى أوائل القرن ١٨ فى نجد بالجزيرة العربية ، وكانت له آراءه ومذهبه التى كان خلاصتها التمسك بالقرآن الكريم والتوسل إلى الله دون وساطة بنى البشر ، وكان يعتبر أن التوسل لله بالنبى شرك ، وأن زيارة قبر النبى وقبور الأنبياء جميعهم والأولياء والصالحين شرك ، ودعى إلى التقشف وعدم التحلى بالذهب ، ومنع الناس من التدخين وشرب المسكرات . . . الخ وتحدى محمد بن عبدالوهاب السلطان العثمانى وطلب منه عدم إرسال المحمل النبوى إلى مكة فى موسم الحج ، ولما كانت الدولة العثمانية وكان محمد على أكبر قوة فى ولايات الدولة فقد طلب منه السلطان إرسال حملة للقضاء على محمد بن عبدالوهاب ، فجهز محمد على حملة مزودة بالمؤن والذخائر ، وخلال تلك الفترة خشى محمد على تآمر المماليك عليه فدبر مذبحة القلعة ١٨١١ قضى فيها على أمراء المماليك ، ثم أمر ابنه

طوسون بقيادة الحملة إلى " المدينة " حيث تقابل مع الوهابيين عند بلدة " بدر " الشهيرة فانكسر الوهابيين أولاً ثم عادوا وتحصنوا وأظهروا شدة وبأس عظيمين فتقهقر طوسون إلى "ينبع " وفقد عدداً كبيراً من جنوده ، ولما علم محمد على بذلك أرسل مدداً إلى طوسون الذى خرج مرة ثانية إلى " المدينة " فدخلها ثم استولى على جدة ، ومكة والطائف ، فاغتاظ سعود الذى كان يقود القوات الوهابية وتحصن فى الداخل وتقابل مع القوات المصرية فى " تربة " شرقى الطائف فكسرها واستولى على مناطق حصينة وكان طوسون فى المدينة فكتب لوالده بإرسال المدد ، فخرج محمد على بنفسه فى قوة إلى المدينة ، ومات سعود وخلفه " عبدالله " فهزمه محمد على ، واحتل طوسون الدرعية وعاد محمد على إلى مصر ، ثم عاد طوسون بعده عندما وصلته أنباء بحرج موقف والده فى مصر ، ولكن محمد على أرسل ابنه إبراهيم باشا الذى دخل الدرعية وسيطر على نجد وبذلك دانت جزيرة العرب لمحمد على بالولاء [٣٨]. ولقد ساعد ذلك محمد على على دخول اليمن والامتداد إلى الخليج، والإشراف على حركة الملاحة بالبحر الأحمر وتأمين الحج إلى بيت الله الحرام.

٢- فتح السودان فى المقررات المدرسية :

جاء فى أحد المقررات المدرسية أن عملية ضم السودان لأملاك محمد على لم تستغرق وقتاً طويلاً لأن الجيش المصرى كان أقوى بالطبع ولم يجد أمامه سوى قوة محدودة ومقاومة ضئيلة فى بلاد الشايقية جنوبى دنقلة وبلاد كردفان [٣٩]، ويذكر مقرر تاريخى مدرسى آخر أن حملة محمد على بدأت من القاهرة فى يوليو ١٨٢٠ فى حوالى ٣٠٠٠ من المشاة ، ومن ١٥٠٠ من الفرسان ، معهم ١٢ مدفعاً ، و٥٠٠ من عرب العبابدة " فتجمع الجيش حيث اجتاز الحدود المصرية إلى دنقلة ، وهاجم المماليك حيث سلم بعضهم وهرب البعض الآخر إلى كردفان " ، ويذكر المقرر أن الجيش قد هزم عرب الشيخية، ودخل بربر فى مارس ١٨٢١م ثم مدينة شندى التى سلمها له الملك "نمر" ودخل سنار حاضرة أكبر أقاليم السودان ، وكان وقتها يوجد

صراع على حكم سنار بين " بادى" وأخاه فتدخل إسماعيل لتأييد " بادى " الذى أصبح نائباً لمحمد على فى تلك الأنحاء ، وتفشى بعد ذلك المرض فى جيش مصر الذى يقوده إسماعيل فطلب المدد ، فوصله تحت قيادة أخيه إبراهيم باشا ، وقام الأخوان بتقسيم العمل بينهما فكانت مهمة إسماعيل الزحف على أعالى النيل الأزرق، وكانت مهمة إبراهيم استكشاف منابع النيل الأبيض والاتجاه غرباً للوصول إلى المحيط الأطلنطى اعتقاداً منه أن النيل الأبيض متصلاً بنهر النيجر وإذا لم يتحقق له ذلك عاد إلى كردفان وعبأ جيشاً يسير به شمالاً حتى يصل إلى طرابلس على البحر المتوسط ، وهذه الخطة " تدل صراحة على مقدار ما كان يطمح إليه محمد على وأولاده " (٤٠).

ولقد أرسل محمد على جيشاً ثالثاً تحت قيادة صهره محمد بك الدفتردار فى منتصف ١٨٢٢ لغزو كردفان فهزم بعض القبائل عند مدينة " بارا " واستولى على الأبيض ، وانتقم جيش الدفتردار من ملك شندى " نمر " الذى دبر حيلة شنيعة " حرق " فيها إسماعيل بن محمد على خلال مأدبة غذاء أعدها له (٤١). لقد كانت طموحات محمد على واسعة وكان يتوق إلى إنشاء إمبراطورية واسعة تتوغل فى قلب أفريقيا وتبلغ ساحل البحر المتوسط .

يذكر مقرر المدارس الثانوية ١٩٥٤ أن محمد على بحملته على السودان قد أعاد الارتباط القديم بين شطرى وادى النيل " مصر والسودان " ولقد تشبث المصريون بذلك الارتباط وحرصوا عليه ودافعوا عنه ، ولم اصطر محمد على ١٨٤٠ إلى التخلى عن فتوحاته فى الشرق الأدنى تمسكت مصر وحاكمها بالسودان، وأقرتها الدولة العثمانية والدول الأوربية على ذلك(٤٢).

ولما ضم محمد على السودان حاول استخدام السودانيين فى الجيش الجديد الذى أراد تكوينه لما كان يأنس فيهم من الشجاعة لأنه كان يخشى اشتغال المصريين

بالجندية مما يصرفهم عن العمل بالزراعة – كما سبق أن أشرنا – [٤٣] فاستقدم نحوا من ثلاثين ألف جندى سودانى ، وأخذ الضباط يقومون بتدريبهم على الأعمال العسكرية ببلدة " بنى عدى " قرب منفلوط بمحافظة أسيوط بمصر ، ولم يأت ١٨٢٤ حتى أصبح لمصر جيش منظم كامل العدة يمكن الاعتماد عليه ، غير أن محمد على ما لبث أن أدرك أن قصر الجيش على السودانيين غير مناسب لأن جو مصر لم يناسبهم ، وهم لم يتحملوا التدريبات القاسية ، وكان اعدادهم للحياة العسكرية يتطلب وقتاً طويلاً ونفقات باهظة مما جعل محمد على يلجأ إلى تجنيد الفلاحين المصريين فى الجيش بدلاً من السودانيين . [٤٤]

وعلى كل حال فإن محمد على قد مد نفوذه على السودان وعين عليه صهره محمد بك الدفتردار كحاكم عام حيث أنشأ مدينة الخرطوم وجعلها مقر حكومته وأخذت الإدارة المصرية تنشر الأمن وتنظم التجارة ، وتمهد طرق القوافل ، وتصلح المساحات الواسعة من الأراضى الزراعية وتقيم الكثير من مؤسسات الحكومة . [٤٥]

وقد ورد فى مقرر مدرسى صادر سنة ١٩٥٥ أن محمد على قد اتبع فى حكم السودان ما اتبعه فى حكم مصر إذ كان يختار حكام أقاليم من بين من يثق فى ولايتهم من الموظفين الأتراك وكان أسلوبهم يشبه أسلوب حكم الأتراك فى مصر ، والسودان إقليم واسع مترامى الأطراف وأكثر سكانه كانوا من البدو الذين يأنفون الحياة المستقرة ، ويضيقون بسلطان الحكومة ، ولكن الحكم المصرى استطاع أن يجمع هذه الأطراف ويضع حداً لمنازعات القبائل ويقر الأمن والنظام . [٤٦]

ولما كان محمد على مهتماً بالزراعة وإقامة المشروعات التى تعمل على تطورها فقد كان بالطبع شديد الاهتمام بالنيل مصدر المياه والخير وباستكشاف منابع هذا النهر العظيم " فأرسل أحد ضباطه (البكباشى البحرى سليم قبدان أفندى) فى ثلاث رحلات مختلفة بين سنتى ١٨٣٨–١٨٤١ وغاية ما وصل إليه " سليم قبدان " هى

حدود نهر سوباط عند خط عرض ٤,٥ درجة شمالاً ، وكان قبدان يكتب التقارير الوافية عن رحلاته ويرفقها بجداول خاصة بالأرصاد الجوية ، فكانت هذه التقارير أول المستندات التى ظهرت عن داخل القارة الأفريقية(٤٧)، حيث وصل قبدان إلى منطقة "غندكرو" فى قلب جنوب السودان . (٤٨)

ولعظيم اهتمام محمد على بالسودان وشئونه قام برحلة إلى هناك عام ١٨٣٨ لتفقد أحواله ، حيث كانت ترافقه بعثة من المهندسين والعلماء الفرنسيين، وقد أراد أن يتأكد من وجود المعادن خاصة الذهب فى هذه البلاد، ولكنه لم يجد ما كان ينشده، وقد أصدر أمراً بإلغاء تجارة العبيد ولو أنها استمرت بعد ذلك (٤٩).

ومما لاشك فيه أن مصر على عهد محمد على قد عملت على نشر التعليم والثقافة فى أنحاء السودان فأنشئت المدارس الحديثة فى الخرطوم ، والمدن الكبرى، وأرسلت إليها كبار الأساتذة المصريين ، كما شجعت الثقافة الدينية ، وسعت إلى تعمير البلاد وإصلاح مساحات واسعة من أراضيها للزراعة وذلك أدى إلى استقرار كثير من القبائل الرحل (٥٠).

كذلك تم إنشاء ترسانة كبيرة لصناعة السفن وإصلاحها بالخرطوم عمل بها عدد كبير من السودانيين تحت إشراف الصناع المصريين ، وبنت الحكومة أسطولاً كبيراً من السفن التجارية للنقل النهرى فى النيل وفروعه ، وذلك ساعد على ربط أجزاء السودان بعضها ببعض مما أدى إلى فتح السودان أمام العالم الخارجى فسكنته جاليات وعناصر أجنبية ، وعينت الدول الكبرى لها قناصل فى الخرطوم (٥١).

ولقد كان من نتائج دخول مصر إلى السودان انتعاش الاتجاه العروبى والإسلامى حيث بدأت المؤثرات العربية الإسلامية تزحف إلى الجنوب حيث تقطن القبائل الزنجية ، وهى عملية كان من شأنها تحويل السودان كله إلى وحدة قومية واحدة ، لولاً أن السياسة البريطانية تدخلت بعد ذلك وعملت على فصل شمال

السودان عن جنوبه فضلاً عن أن الميراث التاريخى والمشاكل السياسية الأفريقية قد أدت إلى الوضع الصراعى الحالى بين جنوب السودان وشماله وبين القوى التقدمية والطائفية حول السلطة فى السودان .

وجدير بالذكر هنا أن مقررات التاريخ فى الفترة الآنية قد تجاهلت قضايا السودان وأفريقيا بشكل واضح ، فكتاب التاريخ للصف الثالث الإعدادى ١٩٩٨ ، لا يعطى موضوع السودان حقه ، ولا دور محمد على فيه مكانته ، فهذا الموضوع الهام لا يرد إلا فى ٤ سطور (١٢ كلمة للسطر) مما لا يعطى أى انطباع حقيقى عن أهمية وخطورة السودان بالنسبة لنا. [٥٢] كذلك فإن كتاب الثانوية العامة للعام الدراسى ١٩٩٨ ، لا يورد سوى ١٨ سطراً عن موضوع السودان [٥٣] ، والواقع أن هذه النقوص والملاحظات ترجع إلى أن وضع كتب التاريخ يجب أن يشترك فى صياغتها مؤرخون ثقاة يعرفون تفاصيل تاريخنا ، كما كان الأمر بالنسبة لكتب التاريخ التى كانت مقررة على المستوى الإعدادى والثانوى فى فترات الستينات والسبعينات .

٣- اشتراك محمد على فى حرب المورة:

قامت ثورة فى بلاد المورة (اليونان) ضد الحكم التركى تريد التخلص من سيطرة الأتراك ، ولم تستطع الدولة العثمانية إخماد تلك الثورة فاستعانت بمحمد على الذى ساعدها فى إخماد الثورة لولا تدخل أوربا ، فقد تحمست روسيا لثورة اليونان وتدخلت لصالحهم فتدخلت إنجلترا فوراً فى الصراع خوفاً من امتداد نفوذ روسيا إلى البلقان والبحر المتوسط ، وبادرت إنجلترا بعقد اجتماع فى لندن مع مندوبى روسيا وفرنسا ١٨٢٧ وتم فى هذا الاجتماع الاتفاق على أن ينفصل اليونان عن الدولة العثمانية نهائياً وأن تدفع اليونان الجزية ، وأن يتم عقد هدنة بين المتحاربين وإلا تدخلت الدول المتحالفة بالقوة ، وقرر الحلفاء إرسال أساطيلهم إلى شواطئ بلاد اليونان استعداداً للتدخل بالقوة إذا لزم الأمر ، ودبرت إنجلترا وحلفائها القيام بتحطيم

الأسطول المصرى العثمانى فى معركة نوارين البحرية ١٨٢٧م فرفع ذلك من روح ثوار اليونان المعنوية واستشاط الباب العالى غضباً ودعا المسلمين للجهاد ضد روسيا ، فأعلن القيصر الروسى الحرب ١٨٢٨ وازداد الموقف تحرجاً بعد دخول فرنسا بجيوشها لصالح بلاد المورة ، ورأى محمد على أنه ليس من الحكمة الاستمرار فى مواجهة القوة الأوربية بشكل أوسع من ذلك ، فآثر الانسحاب والإبقاء على قواته لاستكمال مشروعاته ، وقد ورد عرض هذه الحرب فى مقرر الثانوية العامة خلال الستينات . (٥٤)

٤- حروب محمد على ضد الدولة العثمانية فى الشام :

كان محمد على متطلعاً إلى ضم بلاد الشام لدولته لكى تكون عمقاً له وخط دفاع أول عن مصر ، إضافة إلى أن ضم بلاد الشام كان سيزيد مقدار الدخل والتبادل التجارى لدولة محمد على ، خاصة وأن بشير الشهابى حاكم لبنان وقتها كان يرغب فى ضم بلاد الشام إلى مصر ، فشجع ذلك محمد على على أن يطلب من السلطان أن يعينه والياً على بلاد الشام ، ولكن السلطان رفض طلبه لأنه ضد قيام وحدة بين مصر والشام ، لذلك حرض والى " عكا " على محمد على بأن يحمى الفلاحين الفارين من عبء الضرائب فى مصر، فقرر محمد على أن يضم الشام بالقوة وعلى الفور أرسل أبنه " إبراهيم باشا " على رأس الجيش والأسطول إلى بلاد الشام ، فحاصر عكا واستولى عليها ١٨٣٢ ، ودخل دمشق التى رحبت بقدوم المصريين إليها (٥٥). وفى مقرر مدرسى آخر جاء أن إبراهيم باشا هزم الأتراك هزيمة منكرة عند حمص، ثم اندفع إلى حلب وقابل حسين باشا قائد الجيوش التركية عند مضيق بيلان بين انطاكية واسكندرونه فهزمه شر هزيمة وأصبحت جيوش مصر على مشارف جبال طوروس ، بل اندفعت إلى أراض الأناضول وهزم المصريون جيشاً عثمانياً كبيراً فى قونية نوفمبر ١٨٣٢ ، وأصبح الطريق مفتوحاً إلى الأستانة أمام القوات المصرية ، ولكن هذه الانتصارات المذهلة والسريعة أذهلت الدول الأوربية

فبعد صلح كوتاهية بين محمد على والدولة العثمانية أصبح لمحمد على دولة عربية كبرى ضمت مصر والسودان والحجاز ونجد واليمن والشام، ولما استؤنفت الحرب بين محمد على والسلطان العثمانى كانت الجيوش المصرية فى سبيلها بعد هزيمة العثمانيين فى موقعة " نصيبين " إلى التوجه إلى القسطنطينية نفسها ، هنا تدخلت الدول الأوربية بزعامة بريطانيا التى كونت تحالفاً وساعدت القوات العثمانية فى بلاد الشام ضد محمد على وعقدت اتفاقية لندن قررت فيها تقليص دور محمد على فى مصر والشام طول حياته فقط فإذا لم يقبل فى ظرف عشرة أيام أصبحت له ولاية مصر وعمقها السودان فقط ، وهذا ما انتهى إليه فرمان السلطان العثمانى ١٨٤١ الذى قبله محمد على راضخاً بعد أن تحطمت طموحاته الكبرى (٥٦) .

إن الملاحظة الجديرة بالتنويه أن الدول الأوربية قد تحالفت وتجمعت ضد أية محاولة لقيام دولة عربية كبرى فى منطقة المشرق العربى ، فوقفت ضد محمد على فى محاولته كما وقفت ضد محاولة قيام دولة عربية كبرى بعد قيام " الجمهورية العربية المتحدة " بين مصر وسوريا ١٩٥٨ ، حيث كان لجمال عبد الناصر دور وحدوى قومى بارز فى هذا الموقف ، الغرب دائماً فى مواجهة اتحاد المشرق العربى أو حتى محاولة ظهور قوة كبرى فيه ، فهكذا أيضاً كان موقف الغرب بزعامة الولايات المتحدة وبريطانيا عندما ظهر العراق كقوة اقتصادية وبشرية وصناعية وعسكرية كبرى ، وتمخض تكتيك الغرب عن إدخال العراق فى حرب مع إيران ففقد جزء من قوته ثم أدخلته القوى الغربية فى بؤرة الخليج والكويت لكى تقضى على ما تبقى لديه من قوة، لأن بقاء العراق كقوة ليس فى صالح النفوذ والسيطرة الغربية والغطرسة الإسرائيلية .

تقييم لتجربة محمد على ودور الشعب فيها :

كانت الإشارة إلى دور الشعب المصرى وزعامته فى تولية محمد على فى المقررات المدرسية قبل الثورة محدودة حيث كان ينسب الفضل فى تولى حكم مصر

إلى حنكة محمد على وتكتيكه ، وهذا يعنى تجاهل هذا الدور الـــهام فـــى مقـــررات التاريخ المدرس قبل الثورة كنوع من تعظيم مكانة مؤسس الأسرة العلوية.

غير أن مقررات التاريخ المدرسى بعد ثـــورة ١٩٥٢ قـــد أرجعـــت الحـــق لأصحابه فذكرت أن محمد على بعد توليه السلطة كان يقدر الزعامة الشعبية ويرجـــع إلى السيد عمر مكرم وصحبه فى كثير من الأمور خاصة كلما احتاجت الحكومة إلـــى فرض ضرائب جديدة، فازداد نفوذ عمر مكرم وأصبح ذا أثـــر فعـــال فـــى توجيـــه الحكومة حتى أنه وزملاءه كانوا ملاذا للناس فى رفع الظلم . وعندما تحسن مركـــز محمد على قرر أن ينفرد وحده بالسلطة وأصبح يرغب فى التخلص مـــن الزعامـــة الشعبية وجماعة العلماء الذين كانوا يحقدون على بعضهم ، خاصة على عمر مكـــرم فأوقعوا بينه وبين محمد على لنفيه إلى دمياط ثم إلى طنطا وأطـــاح بكـــل الزعمـــاء والعلماء وقبض على البلاد بيد شديدة بعد ذلك . (٥٧)

لقد كان محمد على راغباً فى تحييد زعامة الشعب المصرى عن القيام بـــدور حقيقى فى إدارة شئون البلاد ، فعندما حاول الإنجليز غـــزو مصـــر ١٨٠٧ قـــامت المقاومة الشعبية المتمثلة فى أهالى رشيد بصد هذه الحملة وهزيمتها ، وتـــم إبـــلاغ السيد عمر مكرم فى القاهرة للمساهمة مع أهالى رشيد فى التصدى لحملة فريـــزر ، حيث كان محمد على يطارد المماليك فى الصعيد ، وعندما طلب السيد عمر مكـــرم تجنيد الشعب المصرى لملاقاة الإنجليز ، رفض محمد على وقال يكفـــى الشـــعب أن يدفع الضرائب ، ومعنى ذلك استبعاد الشعب وتجاهل دوره . (٥٨)

ويؤكد أحد المقررات المدرسية حتى قبل الثورة أن الشعب المصرى تحمـــل أعباء النهضة الحديثة ولم يجن ثمارها أو يستفد بها يقول المقرر " أن تحسين حالـــة الزراعة كان أعظم أعمال محمد على إلا أن المشكلة أن الفلاحين لم يستفيدوا من هذه النهضة الزراعية لأن الفلاح لسوء حظه كان يورد محصولاته إلى الحكومـــة دون أن

يضمن بيعها بأسعار مناسبة . . إذ كانت الحكومة تشترى المحاصيل من الفلاحين بأثمان بخسة وموازين مغشوشة ، وكانوا لا يأخذون أسعار سلعهم نقداً بل كانوا يجبرون على أخذها فى شكل صناعات من مصانع الحكومة (٥٩).

ويقرر عزت عبدالكريم فى مقرر الثانوية ١٩٦٨ " أننا إذا نظرنا إلى التقدم الاقتصادى من وجهة نظر سواد الشعب المصرى الذى عاش فى تلك الفترة من الفلاحين والعمال والتجار وجدنا أن الفائدة التى عادت على هؤلاء جميعاً أقل بكثير من الضرر الذى نزل بهم ، نتيجة ما اتبعه محمد على من نظام الاحتكار فى الزراعة والتجارة والصناعة، وذلك أن محمد على جعل من نفسه المالك الوحيد لأرض مصر ، والتاجر الوحيد لحاصلاتها ، والصانع الوحيد لصناعاتها . ولقد حرم هذا الوالى الفلاح والعامل والتاجر المصرى من ثمرة جهودهم ، وفرض عليهم التزامات معينة لم يكن بوسعهم التخلص منها . (٦٠)

ولم تهتم المقررات المدرسية فى عهد الاحتلال البريطانى بعرض الجوانب الاقتصادية بينما أولت مقررات ما بعد ١٩٥٢ هذه الجوانب اهتماماً معقولاً ، " فكتاب تاريخ الإقليم المصرى الحديث " لعام ١٩٥٩ يتحدث عن نظام الزراعة فى عهد محمد على فى ٢٦ صفحة، فعرض لمسح الأراضى ، وإلغاء نظام الالتزام ، وتوزيع الأرض على الفلاحين ، وإنشاء نظام زراعى احتكارى موحد " . (٦١)

ويعالج مقرر تاريخ الشهادة الإعدادية (نظام الثلاث سنوات) لسنة ١٩٥٩ النواحى الاقتصادية الموضوعية فيذكر لقد " نهضت مصر فى النواحى الاقتصادية نهضة كبيرة فى القرن التاسع عشر ، على أن أكثر ثمار هذه النهضة عاد على الحكومة وحدها بأعظم الفوائد نتيجة لنظام الاحتكار الذى سارت عليه حكومة محمد على ، فزادت ماليتها حتى تمكنت من الصرف على مختلف مرافق النهضة فى البلاد . . . " (٦٢)

ويستطرد كتاب المرحلة الإعدادية لسنة ١٩٥٩ فى تحليل علاقات الإنتاج الزراعى فيذكر " أنه بعد عصر محمد على بدأت تنمو الملكيات الكبيرة بينما اضطر كثير من الفلاحين البسطاء إلى رهن أراضيهم أو بيعها... " . (٦٣)

وبذلك يرصد الكتاب عملية تركز الملكيات الزراعية وانتقالها إلى الأعيان وكبار الموظفين ، وكبار ضباط الجيش وخدام الحاكم منذ نهايات عصر محمد على وحتى الاحتلال وأثنائه .

وفى إطار هذا الواقع ومن خلال تحليله يرى البعض أن نمط الإنتاج الزراعى فى عهد محمد على يعتبر نمطاً انتقالياً من الإقطاع إلى الرأسمالى ، ويرى محللون آخرون أن نمط الإنتاج فى عصر محمد على الذى أطلق عليه نظام الاحتكار هو فى الواقع نظام رأسمالية الدولة . (٦٤)

ولقد ناقشت المقررات الدراسية الصناعة المصرية فى عصر محمد على كما أشرنا ، وتقرر كثير من المؤلفات الأوربية أن سياسة محمد على فى الصناعة لم تكن نابعة من تخطيط سليم ، وأنه دخل مجال الصناعة فى وقت غير مناسب (منذ ١٨١٤) حيث أنه كان مشغولاً بمواصلة الحرب فى الجزيرة العربية بما تتطلبه من جيوش وأموال ، وأكد "دوهاميل" و "كامبل" أن مصانع مصر كانت تحقق خسائر... وأن محمد على يكسب كثيراً بتحطيمها (مصانعه) واستيراد جميع المصنوعات من أوربا " وقيل بأن الصناعة فشلت فى الاستمرار حتى أن مصانع بولاق قد توقف معظمها فى عام ١٨٢٢. (٦٥)

وغير منطقى أن دخول محمد على ميدان الصناعة وقتما كان مشغولاً بحروبه يعتبر خطأ بمعنى أنه كان يجب الانتظار حتى ينتهى محمد على من حروبه ثم يدخل ميدان الصناعة، لأن معظم الدول الحديثة قد تقدمت فى صناعاتها بسبب الحروب التى خاضتها ، ذلك لأن الحروب تدفع إلى خلق صناعات متعددة وتطور ما هو

موجود فى هذا المجال.

وبمقارنة ما جاء بأحد المقررات المدرسية لسنة ١٩٣٤ قبل الثورة بما أوردته هيلين ريفلين فى مؤلفها " الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر " تبدو أمامنا عدة ملاحظات هى : -

١- أن المقرر المدرسى ركز كل عباراته عل ترديد اسم محمد على .

٢- أن المقرر قد بالغ فى الحديث عن إيجابيات محمد علـــى دون توجيـــه أى نقـد موضوعى لنظام إدارته .

٣- أبرزت " هيلين " أن محمد على لم يعط الفرصة لمستشاريه لكى يدرسوا إمكانيـة التصنيع فى مصر وأن الصناعة لم تكن مشروعاً ناجحاً .

٤- أن الذى لم تبرزه " هيلين " فى كتابها أن فشل المشروع النهضوى يرجـع إلـى عوامل خارجية قبل أن تكون داخلية . (٦٦)

ولقد دبجت حول محمد على كثير من الروايات ، وأسندت إليه أعمال اتسـم بعضها بالواقعية وبعضها الآخر اتصف بالخيالية أو المبالغة ، وخلال عهد الاحتـلال البريطانى لمصر حيث كان على رأس الحكم فى مصر خديوى أو ملك مـن أبنـاء محمد على اهتمت المقررات المدرسية بتمجيد تاريخ الأسرة العلوية ، ويظهر ذلـك بصورة واضحة فى مقرر عامى ١٩٠٧، ١٩١٣ اللـذان لا يختلفـان كثـيراً عـن بعضهما ، فقد صاغ جزء لا بأس به من المقرر المدرسى فى معالجة تاريخ مصـر فى العصرين الإسلامى والمملوكى . كما أن جزءاً كبيراً منه قد خصـص لتـاريخ مصر فى عهد حكم على بك الكبير ، ومراد بك وإبراهيم بك ، وفـى الكـلام عـن عصر محمد على جاء الحديث أكثر عمومية ، ونظر المقرر إلى حكم محمد على من زاوية محاولة استقلاله بمصر عن الدولة العثمانية ، ووقتما كان حاكم مصـر هـو السلطان حسين كامل قرب نهاية الحرب العالمية الأولى بـدت مقـررات التـاريخ

المدرسى حاملة إحساس سلطان مصر نحو جده – الذى لولاه ما كان سلطاناً على مصر – فمقرر عام ١٩١٦ للصف الثانى الثانوى تتصدره صورة محمد على ، ويشغل عرض تاريخه حوالى ٩٣ صفحة (من ص ١١٠- ص ٢٠٣) أى ٣٠% من محتوى الكتاب البالغ عدد صفحاته ٣٠٤ صفحة ، كذلك نجد مقرر عام ١٩٣٤ للصف الثالث الثانوى قد خصص حوالى ٧٠ صفحة من صفحات الكتاب البالغ عددها ٢٤٥ أى ما يعادل ٢٨% من حجم الكتاب لمعالجة تاريخ محمد على وحده ، وظل الاهتمام بمحمد على فى المقررات المدرسية حتى نهاية حكم أسرته ، حتى إذا جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قلت عدد الصفحات المعالجة لعصر محمد على ووضعته فى إطاره الطبيعى إلى حد كبير.

ولكى نستجلى أصول هذه التوجهات المنهجية المدرسية نحاول إرجاعها إلى منابعها ، فقد كانت الملكية المصرية فى عهدى فؤاد وفاروق بالذات قد حاولت أن تعزز مكانتها باحتضان بعض المؤرخين مصريين وأجانب وإغرائهم بوسيلة أو بأخرى بتضخيم الجوانب الإيجابية فى حكم محمد على وخلفائه وبخاصة فرع إبراهيم الذى انتمى إليه إسماعيل وتوفيق وعباس الثانى وحسين كامل وفؤاد وفاروق ، ولقد انعكست كتابات المؤرخين الأجانب (٦٧) وأفكارهم عن محمد على على ما كتبه رواد التأريخ المصريين، أو الذين اقتبسوا عنهم مقررات التاريخ المدرسى ، ولقد عظمت هذه الكتب دور محمد على وجسمته بغير حقيقته ، وجعلته مبدعاً لكل جديد فى أوانه ، متجاهلين التطور الطبيعى للأشياء والمجتمعات من خلال اتصال الأمم والشعوب ، وسيولة انتقال الأفكار عبر الزمان والمكان، ومرد ذلك اصطناع المؤرخين للنظرة الأحادية فى التقييم التاريخى ، واستبعاد أو عدم وضوح النظرة الشمولية الموضوعية.

فى هذا الإطار يتحدث كتاب المدارس الثانوية لعام ١٩١٦ عن نشأة محمد على يقول " ولد محمد على باشا ابن إبراهيم أغا من سلالة ألبانية ببلدة (قوله) أحد

الموانى الصغيرة التى على الحدود بين تراقيا ومقدونيا عام ١٧٦٩ وهو العام الذى ولد فيه (ولنجتون) القائد الإنجليزى العظيم ، و (نابليون) الفاتح الكبير ، وتوفى والده إبراهيم أغا وهو فى سن الطفولة ، فتولى أمره عمه (طوسون) ، غير أن هذا وافته المنية بعد مدة وجيزة ، فقام بأمر تربيته أحد أصدقاء والده (وعلمه) . . . ثم زوجه إحدى قريباته ، وكانت من ذوى اليسار ، وخدم حاكم قوله واكتسب رضاه " [٦٨]. ويذكر كتاب مدرسى آخر للتعليم الثانوى لعام ١٩٤٨ أن والد محمد على " . . . لم يشأ القدر أن يحفظ له من أولاده السبعة عشر غير محمد على ، ومع ذلك فقد قست الظروف على الولد . . . " [٦٩]. وتتضح فقرات الكتابان بالرغبة فى إظهار عصامية محمد على وخلق ذاته وأنه لم يكن منذ البداية من البيوتات الثرية ، ولا كانت الظروف مهيأة لصعوده ، وأن القدر قد أبقى عليه لكى يكون حاكماً عظيماً بل ومنقذاً للشرق ومقيماً لملك واسع مركزه مصر.

وفى مقابل هذه الفكرة التى رددتها الكتب المدرسية وغيرها نجد رأياً آخر عن نشأة محمد على أظهرته إحدى الدراسات الحديثة المعنونة بـ " مصر فى عهد محمد على " لعفاف لطفى السيد الصادرة عام ١٩٨٤ بالإنجليزية والتى استقت مادتها من المصادر والمراجع الأجنبية والمصرية ، ولقد فندت الباحثة الأقوال المتضاربة عن مولد محمد على وظروفه ا لأولى وقطعت بأنه لم ينشأ يتيماً وهو ما أورده الكثيرون خلال حياته وبعدها للتدليل على مقدرته فى التغلب على الصعاب.[٧٠]

وعند حديث المقررات المدرسية عن تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر وخاصة فى نصفه الأول نجد تجاهلاً لا حدود له لكل الأدوار إلا دور محمد على ، ورأيه وحصافته ، وأعماله وحروبه ، فكتاب تاريخ التعليم الثانوى لعام ١٩٣٤ لمؤلفه محمد رفعت – الذى ظل مقرراً على المدارس لفترة طويلة – يجسد لنا ذلك بصورة فيها كثير من الإطراء . ففى كلامه عن تطوير الجيش المصرى يقول " رأى محمد على منذ أن كان يقاتل الفرنسيين فى الرحمانية فضل النظم الحربية الحديثة " ، وفى

حديثه عن نقل النمط الأوربى فى الجيش يذكر أن " محمد على قضى مدة فى إقناع قواده وجنوده بأفضلية الطرق الأوربية" وفى موضع آخر يقول " ولما عاد إبراهيم من حرب الوهابيين منتصراً فكر محمد على فى إنشاء النظام العسكرى الجديد " وعن استخدام السودانيين فى الجيش يرد بنفس المقرر " أن محمد على عمد إلى السودانيين .. واستعان بهم .. " وفى مكان آخر يوضح المنهج المدرسى أن فكرة تكوين جيش قوى حتمت تجنيد المصريين ، وكان هناك اعتراض على ذلك " غير أن محمد على لم يأبه لهذه الاعتراضات ونفذ مشروعه " ، وعن اهتمامه بالعسكر جاء " واستمر محمد على يعتنى بالجيش عناية خاصة"[٧١].

ولقد عالجت مقررات التاريخ المدرسى عصر محمد على ودوره فى بناء مصر الحديثة بشكل أكثر موضوعية بعيداً عن المبالغة ويمكن أن نلاحظ ذلك بالذات فى مقرر التاريخ للثانوية العامة خلال الستينات والسبعينات لمؤلفه أحمد عزت عبد الكريم وآخرين ، إلا أن مقررات التاريخ الحالية (خلال التسعينات من القرن العشرين) تتسم بالقصور، والخلل واللاموضوعية ، ففى القسم الثانى من كتاب التاريخ " للثانوية العامة والمعنون بـ " تاريخ مصر والعرب الحديث " نجد عرضاً فى فصل من حوالى ٣٣ صفحة (١١٨-١٥٠) عن تاريخ مصر فى عهد محمد على ، وعباس ، وسعيد ، وإسماعيل ، وجزء من عهد توفيق لكى ينتهى الفصل عند ١٨٨١ بلا سبب مقنع ، فالمفروض حسب التطور التاريخى أن يتوقف عند الاحتلال البريطانى لمصر ١٨٨٢ ، ومع ذلك هل من المعقول أن يتم عرض إنجازات مصر فى عهد محمد على مع تخريب عباس فى نفس الفصل ؟ وهل يتم عرض إنجازات محمد على التى ملأت الدنيا نهضة وحروباً وثقافة وعلماً فى عدة صفحات [٧٢]، لا تستحق التوقف ولا تستدعى الانتباه لأهم عصور النهضة المصرية الحديثة بسبب اختصارها المخل ؟ ثم بعد ذلك نقول أن طلابنا وشبابنا غير واع ، وغير منتم ، فالواقع أن وعى الإنسان يتشكل بموجب البناء الثقافى والتاريخى الذى يقيمه المجتمع

بمؤسساته التعليمية له.

ولقد كان هناك تجاهل للدور الاجتماعى للشعب فى العمل والإنتاج ، فأين الكلام عن دور الفلاحين الذين زرعوا ؟ والحرفيين الذين صنعوا ؟ والجند الذين حاربوا ؟ بل وأين دور كثير من المستشارين الفرنسيين الذين تم تجاهل دورهم ؟

وفى حين تركز المقررات المدرسية فى عهد الأسرة العلوية على دور الجد الأكبر وتعتبره محور النهضة باعتباره الحاكم " المستبد المستنير " فإن مقررات ما بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد حملت مفهوماً مختلفاً ذات أبعاد اجتماعية . فكتاب الصف الرابع الإعدادى على سبيل المثال لسنة ١٩٥٩ أولى اهتماماً كبيراً بالدور الاجتماعى للجماهير المصرية عقب خروج الحملة الفرنسية وعند تولية محمد على[٧٣]. وبنفس أسلوب التفاؤل عالج كتاب الإعدادية ١٩٦٣ لمؤلفه أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرين دور الشعب المصرى بعد رحيل الفرنسيين وجاء عنوان هذا الدور " الوعى القومى فى مصر وأثره على تولية محمد على" [٧٤].

إن مما يدل على أن الدور الاجتماعى للشعب المصرى قد احتل موقعه الطبيعى فى صياغة الأحداث فى كتب التاريخ المدرسى أن تجربة مصر وتاريخها فى عهد محمد على جاء عنوانها فى كتاب آخر صادر عام ١٩٥٥ "نهضة مصر فى القرن التاسع عشر وبناء الدولة الحديثة ودور الشعب فيها"[٧٥] . وواضح فى هذا العنوان عدم ظهور اسم محمد على ليس بهدف محو دوره وإنما كمحاولة لوضع هذا الدور فى إطاره الحقيقى لأن محمد على بلا أرض مصر وواقعها وبلا شعب مصر ونشاطه ما كان له أن يكون.

ويهتم كتاب " تاريخ الوطن العربى فى العصر الحديث " للشهادة الإعدادية ١٩٥٩ بالنظام العسكرى ، فيحدد من هم الذين تحملوا مصاعب التجنيد وشكلوا جيش مصر فى عهد محمد على ، ذلك الجيش الذى غزا به الوالى دولاً متعددة وضم

بعضها إلى مصر ، وأشار الكتاب إلى عيوب النظام العسكرى فى هذا الوقت فيذكر " أن نظام التجنيد فى عهد محمد على كانت تشوبه مفاسد كثيرة فلم يكن هناك نظام موحد لتجنيد الصالحين للجندية ، ولم تكن مدة التجنيد العسكرى محددة تحديداً واضحاً ... وكثيراً ما قضى الجندى أزهى سنى شبابه ورجولته فى الجيش.."[٧٦].

ولقد بلغ نفور الفلاحين من الخدمة العسكرية مداه حتى أن " الأمهات كن يشوهن أطفالهن . . وكثيراً ما كان الرجال البالغون يقطعون سبابة أيديهم " وفى مواجهة ذلك صدر منشور محمد على للأقاليم فى ١٢ مارس ١٨٣٣ جاء فيه " . . عرفوا كلاً منهم أنه يجب ألا يشوه نفسه ، لأنى سآخذ من عائلة كل من يرتكب هذه الفعلة رجلاً بدلاً منه " ، وكتب " جالينا " أحد أطباء محمد على المرسل لاختيار المجندين يقول : " كانت الأحوال فى البلاد من السوء بحيث أن جرجا التى كانت تضم ٤٦ قرية لم تستطع توفير سبعة رجال لائقين للخدمة . . [٧٧].

وأمام هذا السيل المنهمر من تشويه الأجسام هرباً من الجندية ، أصدر محمد على أوامره بتجنيد المشوهين فقد كان بأسيوط " ألاى كامل يتألف من مجندين مشوهين فقد كل منهم عينه أو إصبعه أو أسنانه الأمامية " [٧٨].

ومن الثابت تاريخياً أن المصريين شعب ذو كرامة وغيرة يعشق الحرية ويهبون للدفاع عن بلادهم بكل ما أوتو من قوة . . إلا أن نظام التجنيد بالطريقة التى اتبعها محمد على قد نفر الناس من التجنيد [٧٩]، أو الاشتراك فى جيش يحمى مصالح البلاد ، خاصة أن محمد على كان يعتبر نفسه صاحب كل شئ ، لذلك فلم يكن بوسع أحد من الفلاحين المجندين أن يدرك أن هذا جيش مصر الذى يدافع عن كيانها . ولقد أشارت بعض المقررات المدرسية لقسوة نظام الجندية فى عهد محمد على [٨٠] ، إلا أن معظم الكتب المدرسية خاصة الحالية منها ، لم تعط قضية الجندية هذا ما تستحقه من الاهتمام .

ويبرر محمد على سياسته القاسية فى معاملته للمصريين فى حديثه لمسيو " بوالكمت " بقوله " إن علىَّ أن أحكم شعباً أظهر صفاته الكسل والجهل وسوء النية فإذا لم أحمله على العمل بقى عاطلاً . . . " واستطرد قائلاً : " يجب أن نقود هذا الشعب كما يقاد الأطفال لأننا لو تركناه وشأنه فسيعود إلى حالة الفوضى . . . "[٨١].

وموضوعياً وأنثربولوجياً نرفض فكرة أن شعباً معيناً يعامل كالأطفال وشعباً آخر يعامل كالرجال كما يقول محمد على فالجنس البشرى جذوره واحدة تشكلها فى النهاية الأبعاد الطبيعية والأيكولوجية ، والتطورات التاريخية والثقافية مما يجعلنا نؤكد على أن الشعب المصرى شكلته ظروف السيطرة والقهر والاستغلال طيلة عصور تمتد من الفرعونية . . وحتى مصر العثمانية وما تلاها ، ونتيجة لتوالى فترات الحكم الأجنبى أصبح الشعب المصرى هو شعب رد الفعل العفوى خاصة فى فئاته غير المثقفة ، شعب عاطفى سرعان ما يثور وسرعان ما يخمد ، يميل إلى الدفاع لا إلى الهجوم ، وإلى القبول لا إلى الرفض ، وإلى التسامح لا إلى الصد ، وإلى القديم لا إلى الجديد ، والسبب هو عزل شعبنا تاريخياً واستبعاده من سياق الأحداث المؤثرة ومن ثم فإن المشاركة الشعبية فى تقرير مصيرنا اقتصادياً كان أو سياسياً أو عسكرياً هى الشرط الأساسى لإظهار جوهر شعبنا الأصيل.

ولقد نظرت بعض المقررات المدرسية بعد الثورة إلى تجربة محمد على من زاوية قومية ، فيعلق المقرر المدرسى للإعدادية عام ١٩٦٣ على تحالف الدول الأوربية ضد نهضة مصر فى القرن التاسع عشر بقوله : " وهكذا وقفت أكبر دول أوربا فى وجه هذه النهضة التى انبعثت فى مصر"[٨٢]، واعتبر مقرر الثانوية العامة (١٩٦٩) محاولة محمد على تدخل فى إطار مشروع الوحدة العربية ، فعدد أسباب إخفاق هذا المشروع ،ومنها أن أصحاب فكرة الدولة العربية – محمد على وإبراهيم ابنه – لم يكونا عرباً، ومنها فقدان التضامن القومى فى العالم العربى فى هذا الوقت

المبكر من القرن التاسع عشر.

ومع ذلك قامت الحرب بين محمد على والسلطان العثمانى فى الشام بسبب " رفض محمد على إرسال قوة عسكرية لمساعدة الدولة فى حروبها مع روسيا ، ولقلة المكافئة التى حددها السلطان (لمحمد على) بعد حرب المورة ، خاصة عندما رفض منحه ولاية عكا " (٨٣).

وعن تدخل الدول الأوربية لتأييد السلطان العثمانى يذكر مقرر الصف الثالث الإعدادى ١٩٥٩ أن الأمور أدت إلى " الحرب بين الحلفاء وقوات إبراهيم باشا فى سوريا وتحملت إنجلترا النصيب الأوفر منها . . وجاء أسطول الحلفاء بقيادة أمير البحر الإنجليزى ، وأنزلت قوات تركية وإنجليزية ونمساوية وتم تحريض الأهالى بالثورة ضد حكومة محمد على ، ولم يمض وقت بسيط حتى كان النصر للحلفاء فاحتلوا بيروت ، وسقطت صيدا كما سقط حصن عكا المنيع فى نوفمبر ١٨٤٠ " وقدمت الدول الأوربية مذكرة للقوى المتحاربة بألا يتم صلح نهائى إلا إذا أقرته هذه الدول.

ولم يكن تدخل الدول الأوربية خدمة للسلطان أو منعاً لتداعى الدولة العثمانية وسقوطها وإنما لخدمة مصالحها المباشرة فروسيا كانت تخشى قيام دولة فتية تسيطر على معظم أملاك الدولة العثمانية مما يحول دون تحقيق أطماعها فى المضايق ، وكانت النمسا وعلى رأسها "مترنيخ" – متزعمة الحركات الرجعية – تعارض كل اتجاه قومى ، فلم يكن يرضيها أن يتحقق هذا الاتجاه فى قيادة دولة عربية يمكنها تهديد مصالحها فى شرق أوربا ، أما إنجلترا فقد كانت أهدافها تتحدد فى أولاً : أن يكون لها شأن فى أى تقسيم يجرى للدولة العثمانية لكى تخرج بنصيب الأسد فى أية تسوية أو تقسيم ، ثانياً: فتح السوق المغلق أمام المنتجات البريطانية فى نطاق دولة محمد على المنتهجة لسياسة الاحتكار ، ثالثاً : تأمين طرق مرور التجارة البريطانية مع الهند والخليج ، وشط العرب فى جنوب العراق وإيران ، ولذلك تبنت إنجلترا فى

معاهدة لندن قص أجنحة محمد على وتحديد نطاق دولته فى مصر ، وهذا ما جاء بـه فرمان السلطان العثمانى ١٨٤١. (٨٤)

وتطرح أسئلة هامة نفسها وهى هل كان محمد على محقاً فى إبعـاد الشـعب وزعامته الشعبية عن إدارة الدولة أم أنه كان من الواجب عليه إشراكه فى القـرارات المصيرية ، كما أشركه فى العمل والإنتاج والحروب ؟ ومن المؤكد أن أى نهضـة لا تتم إلا إذا كانت وليدة أفكار وجهود أبناء الوطن جميعهم بدلاً من أن تكون قرار فـرد حاكم مهما كان فطناً .

ثمة سؤال آخر يجب طرحه وهو : هل كانت تجربة محمد علـى مشـروعاً وطنياً وقومياً عربياً فى مواجهة الغرب أم أنها كانت سبيلاً لإقامة دولـة اسـتبدادية لحاكم مستبد ؟ ومن وجهة نظرنا فإن تجربة محمد على تعد مشروعاً فردياً حقق قدراً من النهضة لكن القوى الأوربية لم تعطه الفرصة للتطور المنشود.

على أننا يجب أن نؤكد هنا أن التركيز على دور الفرد فى الحكم والتفكير لـه خطره لأن التلاميذ الذين تنقش الأفكار فى عقولهم فى سنى حياتهم المبكرة يـتربون على تعلم أن للدولة حاكم لا يناقش ، يأمر ولا راد لأمره يقيـم مشـاريع ، ويدخـل حروب ويستغل طاقة الناس لأهداف لا يعرفها سواه ، يجند الشباب مـن الفلاحيـن والعمال لكى تضيع سنوات عمرهم فى حروب وعناء دون أن يكون لهم حتى مجـرد إدراك الغاية من هذه الحروب.

إن تغافل ذكر حركات الفلاحين والعمـال – فـى المقـررات المدرسـية – وتعبيرهم عن أنفسهم ولو بشكل سلبى فى صورة الامتناع عن العمل أو الهروب مـن القرى أو قطع عضو من أعضاء الجسم بسبب قسوة العمل أو التجنيد فـى الجيـش يعتبر بمثابة مؤامرة صمت كبرى حاكها الحكام ومثـقفوهم وحتى مؤرخوهم بـهدف تضبيب العيون عن تحسس مواطن الخطأ فى تاريخ مصـر قديمـه (٨٥) ووسـيطه وحديثه ، ومنع الشعب وتحييده عن اتخاذ مواقف إيجابية تفيد فى صياغـة مسـتقبل

يواكب تطور العالم.

أخيراً نحن لا يمكننا أن نتفق مع من تحيزوا لأسطورة محمد على ، ولا يمكننا تجاهل تجربته أو نقلل من أهميتها ، ومن ثم فإن تاريخ حكمه وقيام دولته يحتاج إلى معالجة موضوعية فى مقررات مدارسنا لكى تشب أجيالنا واعية بالحقائق، مستوعبة للتجارب ، مدركة للقوى والعوامل البشرية والمادية المؤثرة فى حركة التاريخ ونضال الشعوب.

المصادر والمراجع

(١) وزارة التربية والتعليم ، جمهورية مصر العربية ، كتاب المعلم فى تدريس المواد الاجتماعية للصف الأول الإعدادى ، أعداد عبد الفتاح على عرفة وآخرون ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٨١، ص ٧-٨.

(٢) قاسم عبده قاسم ، حطين ، الذكرى الثمانمائة . . . والزمن الردئ ، المواجهة ، لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ، الكتاب السابع ، دار المستقبل العربى ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٦-١٠.

(٣) السيد عزمى ، كتاب البهجة العباسية فى تاريخ مصر والأمة العربية ، نظارة المعارف العمومية ، المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٦٣.

(٤) يونان لبيب ، رؤوف عباس حامد ، عبد العظيم رمضان ، أوربا فى عصر الرأسمالية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٨٩ - ١٩٦.

(٥) أحمد عزت عبد الكريم ، أبو الفتوح رضوان ، تاريخ الوطن العربى فى العصر الحديث ، الصف الثالث الإعدادى ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٩٥٩.

(٦) هند اسكندر عمون ، تاريخ مصر ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة المعارف بالفجالة، القاهرة ١٩٢٣ ، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٧) عمر الاسكندرى ، وسليم حسن ، مراجعة الكبتن أ.ج. سفونج ، وزارة المعارف العمومية، المستوى الثانوى ، تاريخ مصر من الفتح العثمانى (إلى قبيل الوقت الحاضر)، مطبعة المعارف بالفجالة ، مصر ١٩١٦ ، ص ١١٣-١٢١.

(٨) أحمد عزت عبد الكريم ، عبد الحميد البطريق ، أبوالفتوح رضوان ، محمد أحمد الغنام ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، الصف الثالث الثانوى ، مطابع مؤسسة الأهرام ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٤٨-٤٩.

(٩) صبحى وحيدة ، فى أصول المسألة المصرية ، طبعة ثانية ، بدون تاريخ، القاهرة ، ص ١٧٩-١٨٠.

(١٠) أميل بباوى غالى ، أحمد حمزة سليمان ، رشدى مجلع الحكيم ، مراجعة السيد رجب حراز ، تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، وزارة التربية والتعليم جمهورية مصر العربية، الصف الثالث الإعدادى ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٤٩.

(١١) لوتسكى ، تاريخ الأقطار العربية الحديثة ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧١.

- رأفت غنيمى الشيخ ، العرب ، دراسات فى التاريخ الحديث ، والمعاصر ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٣.
- عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٨.

(١٢) عاصم الدسوقى ، كبار ملاك الأراضى ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤-١٩٥٢، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٥.

(١٣) محمد رفعت ، تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة ، طبعة خاصة للمدارس العالية، الجزء الأول ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٣٤ ، ص ١٠٤.

(١٤) نفس المصدر ، ص ٧٣.

(١٥) محمد العزب موسى ، وحدة تاريخ مصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٢٢٢.

(١٦) أنور عبدالملك ، نهضة مصر ، تكوين الفكر والأيديولوجية فى نهضة مصر الوطنية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٢٨.

(١٧) عمر الاسكندرى ، المصدر السابق ، ص ١٤٥-١٤٦ .

(١٨) نفس المصدر ، ص ١٤٦-١٤٧.

(١٩) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، محمد رشدى الجندى ، محمد إبراهيم الصيحى ،

فوزى بخيت حسين ، تاريخ العرب الحديث للصف الثالث الإعـــدادى ، وزارة التربية والتعليم ، المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٦٣، ص ٥٣-٥٤.

(٢٠) صبحى وحيدة ، المرجع السابق ، ص ١٩٨.

(٢١) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، معـــهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢١.

(٢٢) عمر الاسكندرى ، المصدر السابق ، ص ١٤٨-١٥٠.

(٢٣) نوال قاسم ، تطور الصناعة المصرية منذ عهد محمـــد علـــى حتـــى عـــهد عبدالناصر ، ط١، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ٢٠-٢٥.

(٢٤) محمد رفعت ، المصدر السابق ، ص ٥٤.

(٢٥) أحمد عزت عبدالكريم وآخرون ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، الصـــف الثالث الثانوى ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٦٥.

(٢٦) عمر الاسكندرى ، المصدر السابق ، ص ١٤٢.

(٢٧) نوال قاسم ، المرجع السابق ، ص ٦٩-٧٥.

(٢٨) عبدالرؤوف نصر ، محمد إبراهيم الصيحى ، التاريخ الحديـــث للجمهوريـــة العربية المتحدة والوطن العربى ، للصف الثالث الإعـــدادى ، وزارة التربيـــة والتعليم ، المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٤٠.

(٢٩) عمر الاسكندرى ، المصدر السابق ، ص ١٥٠-١٥١.

(٣٠) عبدالرؤوف نصر ، المصدر السابق ، ص ٣٦.

(٣١) عمر الاسكندرى ، المصدر السابق ، ص ١٤٣-١٤٤.

(٣٢) محمد رفعت ، المصدر السابق ، ص ٧٠-٧١.

(٣٣) - نفس المصدر ، ص ٧١-٧٢.

- عبدالعزيز سليمان نوار ، وبرنس رضوان ، تاريخ مصر الحديث ، الصـــف السادس الابتدائى، وزارة التربية والتعليم ، المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٨٨،

ص ٥٨-٥٩.

(٣٤) عمر الاسكندرى ، المصدر السابق ، ص ١٤٢.

(٣٥) أحمد عزت عبد الكريم ، وآخرون ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الصف الثالث الثانوى ، ١٩٦٨ ، ص ٦٣.

(٣٦) محمد رفعت ، المصدر السابق ، ص ٦٥.

(٣٧) عبدالرؤوف نصر ، المصدر السابق ، ص ٤٢.

(٣٨) محمد رفعت ، المصدر السابق ، ص ٥٢-٦٢.

(٣٩) أحمد عزت عبد الكريم ، المصدر السابق ، ص ٦٩-٧٠.

(٤٠) عمر الاسكندرى ، المصدر السابق ، ص ، ص ١٣٥-١٣٧.

(٤١) نفس المصدر ، ص ١٣٧-١٣٨.

(٤٢) أحمد عزت عبد الكريم ، عبدالحميد البطريق ، أبو الفتوح رضوان ، عبدالعزيز الشناوى، تاريخ مصر فى العصر الحديث ، المستوى الثانوى، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٤/١٩٥٥ ، ص ٩٢.

(٤٣) نفس المصدر ، ، ص ٩٤.

(٤٤) أميل بباوى ، المصدر السابق ، ص ٤٤-٤٥.

(٤٥) عبدالرؤوف نصر ، المصدر السابق ، ص ٤٦.

(٤٦) أحمد عزت عبد الكريم ، وآخرون ، تاريخ مصر فى العصر الحديث ، المستوى الثانوى، ٥٤-١٩٥٥، ص ٩٨.

(٤٧) محمد رفعت ، المصدر السابق ، ص ٨٢.

(٤٨) أحمد عزت عبد الكريم ، وآخرون، تاريخ مصر فى العصر الحديث... ٥٤-١٩٥٥، ص ٩٥.

(٤٩) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، موجز تاريخ مصر الحديث ، الشهادة الإعدادية ، القاهرة ٥٣-١٩٥٤ ، ص ٥٩.

(٥٠) أحمد عزت عبد الكريم ، وآخرون، تاريخ مصر فى العصر الحديث... ٥٤-١٩٥٥ ، ص ٩٧.

(٥١) نفس المصدر ، ص ٩٥-٩٧.

(٥٢) أحمد حسين اللقانى وآخرون ، جغرافية العالم ودراسات فى تاريخ مصر الحديث ، مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية ، القاهرة ١٩٩٨/٩٧، ص ١١٦.

(٥٣) عبدالعزيز نوار ، وعاصم الدسوقى ، برنس رضوان ، وآخرون ، التاريخ للثانوية العامة، المرحلة الثانية (نظام جديد) وزارة التربية والتعليم، القاهرة ١٩٩٦ ، ١٩٩٨ ، ص

(٥٤) أحمد عزت عبدالكريم ، وآخرون ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، للصف الثالث الثانوى ١٩٦٨ ، ص ٧٠-٧١.

(٥٥) عبدالعزيز سليمان نوار ، وبرنس رضوان ، تاريخ مصر الحديث ، السادس الابتدائى ١٩٨٨ ، ص ٦٥.

(٥٦) أحمد عزت عبدالكريم ، وآخرون ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، للصف الثالث الثانوى ١٩٦٨ ، ص ٧١-٧٣.

- أميل بباوى وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٥٣.

(٥٧) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، وآخرون ، تاريخ العرب الحديث منذ الغزو العثمانى حتى الوقت الحاضر ، الصف الثالث الإعدادى ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤١.

- إبراهيم نمير سيف الدين ، ومصطفى أحمد الشهابى ، التاريخ الحديث للوطن العربى الكبير ، الصف الثالث الإعدادى ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٣٧-٣٨.

(٥٨) أحمد عزت عبدالكريم ، وآخرون ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، الصف

الثالث الثانوى ، ١٩٦٨ ، ص ٥٢.

(٥٩) عمر الاسكندرى ، المصدر السابق ، ص ١٤٧-١٤٨.

(٦٠) أحمد عزت عبدالكريم . . . تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الثالث الثانوى ١٩٦٨ ، ص ٦٦-٦٧.

(٦١) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، موجز تاريخ مصر الحديث . . . الشهادة الإعدادية . . . ١٩٥٤/٥٣ ، ص ١٠٠-١٢٦.

(٦٢) أحمد عزت عبدالكريم ، وآخرون ، تاريخ الإقليم المصرى فى العصر الحديث ، الرابعة الإعدادية ، وزارة التربية والتعليم ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥٣-٥٤.

(٦٣) نفس المصدر ، ص ٥٩ .

(٦٤) أنور عبدالملك ، المرجع السابق ، ص ١٦.

(٦٥) هيلين ريفلن ، الاقتصاد والإدارة فى مستهل القرن التاسع عشر ، ترجمة أحمد عبدالرحيم مصطفى ، ومصطفى الحسينى ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٢٧٩-٢٨٦.

(٦٦) نفس المكان

- محمد رفعت ، المصدر السابق ، ص

(٦٧) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، مقدمة كتاب محمد على الكبير لمؤلفه محمد شفيق غربال دار الهلال ، أكتوبر ١٩٨٦ ، ص ١١ .

(٦٨) عمر الاسكندرى ، المصدر السابق ، ص ١١٠.

(٦٩) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، تاريخ مصر الحديث ، السنة الرابعة الثانوية ، وزارة المعارف العمومية ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٠٩.

(٧٠) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، مقدمة كتاب محمد على الكبير ، المرجع السابق،

ص ١٨.

(٧١) محمد رفعت ، المصدر السابق ، ص ١٠٠-١٢٦.

(٧٢) عبدالعزيز نوار وآخرون ، التاريخ ، الثانوية العامة ١٩٩٦ ، ١٩٩٨، المصدر السابق، ص ١١٨-١٥٠.

(٧٣) محمد عبدالعزيز مصطفى ، موجز تاريخ مصر الحديث، الشهادة الإعدادية.. ١٩٥٤/٥٣ ، ص ٣٩-٤٧.

(٧٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، وآخرون ، تاريخ العرب الحديث ، الصف الثالث الإعدادى، وزارة التربية والتعليم ، المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣١-٣٩.

(٧٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، موجز تاريخ مصر الحديث ، الإعدادية ١٩٥٤/٥٣ ، ص ٣٩-٤٧.

(٧٦) أحمد عزت عبدالكريم ، وأبوالفتوح رضوان ، تاريخ الوطن العربى فى العصر الحديث، الثالث الإعدادى ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤٤-٤٥.

(٧٧) هيلين ريفلن ، المرجع السابق ، ص ٢٩٨.

(٧٨) على شلبى ، المصريون والجندية ، مطبعة الجبلاوى ، دار الكتاب الجامعى، ط١، القاهرة ١٩٨٨، ص ٣٤.

(٧٩) نفس المرجع ، ص ٤٩.

(٨٠) أحمد عزت عبدالكريم . . تاريخ الوطن العربى فى العصر الحديث ، الثالث الإعدادى ، ١٩٥٩ ، ص ٤٤-٤٥.

(٨١) نوال قاسم ، المرجع السابق ، ص ٢٥-٢٦.

(٨٢) أحمد عبدالرحيم وآخرون ، تاريخ العرب الحديث ، الثالث الإعدادى ١٩٦٣، ص ٥٦.

(٨٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، تاريخ مصر الحديث ، الرابعة الثانوية ، وزارة

المعارف ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٥٧.

(٨٤) عبدالعزيز نوار ، المصالح البريطانية فى أنهار العـــراق ، ١٦٠٠-١٩١٤ ، الأنجلو المصرية ١٩٦٨ ، ص ٣٧-١٠١.

(٨٥) عبدالحميد زايد ، مصر الخالدة ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٦.